# منارات

manarat

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة الأيام للإعلام والثقافة والفنون

فخري كريم

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

"21عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

www.almadasupplements.com

العدد (5935) السنة الثانية والعشرون - الأربعاء (2) 2025

# سميحة أيوب

2025 - 1932

# سميحة أيوب.. حورية البحار حبيسة المصباح

عصام زكريا

في حوار تليفزيوني أجرته قبل خمس سنوات مع الإعلامي محمود سعد من داخل أروقة المسرح القومي، الذي كانت تسميه ببيتها، بدت سميحة أيوب راضية عن حياتها وسعيدة. تخلو كلماتها من المرارة أو الندم حتى وهي تتحدث عن أسوأ لحظات حياتها. فمعاناتها قطرة في محيط ما قد يعانيه الكثيرون، وتردف "الحمد لله إنني عشت عصري".

تلخّص سميحة مسيرة حياتها في كلمتين، ثم تستطرد شارحة أنها كانت محظوظة لأنها تتلمذت على يد كبار الصنعة، وعملت معهم، وكُرّمت من قِبَلهم. كلمتان تُذكّران بعنوان فيلم جان لوك جودار Vivre sa vie/ عاشت حياتها (١٩٦٢)، رغم الفارق الهائل بين حياة نانا القصيرة، بطلة الفيلم التعيسة، وحياة سميحة أيوب المديدة، المجيدة.

بدأت سميحة أيوب التمثيل وهي ابنة ١٤ عامًا عام ١٩٤٧، عندما ظهرت في فيلم المتشردة مع المخرج محمد عبد الجواد. تفتّح وعيها، إذن، في عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية، الذي شهد النكبة ثم ثورة يوليو ١٩٥٢ والعدوان الثلاثي، ثم النكسة، فانتصار أكتوبر، وكل ما جاء بعد ذلك من انهيار منتظم مستدام.

شهدت هذه العقود صعود المسرح والسينما ومجد الإذاعة وظهور التليفزيون في نهضة فنية وأدبية شاملة، قصمت ظهرها النكسة. تلاها ظهور جيل الستينيات في الأدب ثم جيل الثمانينيات في السينما والصعود الثابت للدراما التليفزيونية، مع تراجع المسرح بشكل منتظم.

كان من حظ سميحة أيوب، التي ولدت لتقف على الخشبة، أنها عاشت وتألقت في العصر الذهبي للمسرح المصري من بداية الخمسينيات وحتى منتصف السبعينيات، الفترة التي قدمت خلالها معظم وأهم أعمالها التي لم يصور معظمها أو فقدت شرائطه، ما يحتاج إلى بحثٍ للعثور على ما بقي منها وترميمه.

ومع ذلك، كثير من أعمالها المسرحية صورت، وشهدت عصر التليفزيون، بعكس أجيال المسرح التي سبقتها ولم توثق أعمالهم الكاميرا.

### بنت من شبرا تملك العالم

وُلدت وتربت سميحة أيوب في حي شبرا، فاكتست بروح الحي العصري، متفتح العقل متعدد الثقافات. لم تجد صعوبة كبيرة في احتراف التمثيل، الذي كان حتى سنوات قليلة سابقة مهنة سيئة السمعة. في سن الرابعة عشر احتضنتها الدولة بإدراجها في معهد التمثيل، ضمن خطة لتشجيع الفتيات على دخول مجال الفن، يفضل مكتشفها جورج أبيض وأستاذها زكي طليمات. وخصصت لها، أسوة بزميلاتها الأكبر سنًا، ستة جنيهات شهريًا.

يبدو المشهد وكأن مصر كانت تبحث عن سميحة أيوب. ربما ليس هي بالتحديد، ولكن المواهب في شتى المجالات.

احتفظت حتى نهاية حياتها بروح بنت شبرا المرحة الساخرة الصريحة، وحتى بمفرداتها القديمة الطريفة. في هذه الأحياء الشعبية والبرجوازية في آنٍ، ولدت تقريبًا معظم المواهب المصرية في شتى المجالات. كانت الطبقة الوسطى في ذروة صعودها وتشعر أن بإمكانها امتلاك العالم أو تغييره.

في حواراتها مع محمود سعد تقول إن أسعد لحظات حياتها كانت "وأنا واقفة على المسرح بحس إن أنا ممتلكة العالم". ليست لحظات الحب أو الزواج أو الأطفال أو الجوائز والتكريمات، هذه ذكرتها لاحقًا، ولكنها شردت متذكرةً أوقات وقوفها على المسرح، ترى العيون تحدق فيها في الظلام كنجوم في سماء مظلمة، وتشعر بأنفاس الجمهور القادمة من الصالة.

على مدار ثمانية عقود، قدمت سميحة أيوب حوالي ١٧٠ مسرحية، وما يقرب من خمسين فيلمًا وأكثر من مئة مسلسل، وظلت تعمل حتى التسعين. ورغم أن هذه القدرات تنم عن شخصية قوية متفردة، لكن ليس من المستبعد أن تكون أيضًا واحدة من صفات العصر الذي عاشته.

العمل، بالنسبة لهؤلاء، هدف وليس وسيلة لأشياء أخرى. ومن يتتبع مسيرة معظم فناني جيلها يمكنه أن يلاحظ تقديسهم لقيمة العمل في حد ذاته. أما المال والإعلانات والعقارات والعلاقات فتأتي في مرتبة متأخرة، وأحيانًا متأخرة جدًا، في حياتهم.

### بنت المأساة

تعرضت سميحة لتجربة شخصية بالغة السوء في بداية حياتها عندما تزوجت محسن سرحان، الذي كان ممثلًا ونجمًا معروفًا، ورجلًا شرقيًا رجعيًا. حبَسها ومنعها من العمل، ولم تفلت منه إلا بصعوبة بالغة. لكن التجربة تركت فيها جرحًا عميقًا وعلمتها أن الحرية ليست منحة بل لها ثمن، وأن عليها أن تضع عملها أولوية على أي شيء آخر، وأحيانًا بشكل مبالغ فيه، حتى أدى إدمانها العمل إلى انهيار زواجها من محمود مرسي، حب حياتها الأكبر، كما يتبين في مذكراتها وحواراتها الأخيرة.

المدهش بالنسبة لنا الآن، قدر الصراحة التي تتحدث بها عن حياتها الشخصية، وهي ليست وحدها بالمناسبة، فهذه، أيضًا، إحدى صفات عصرها. ويكفي أن نقرأ مذكرات يوسف وهبي أو نجيب الريحاني أو تحية كاريوكا وغيرهم من نجوم تلك الفترة، لنلمس الفارق بين براءة الصدق في اعترافات هؤلاء النجوم، ومستنقع الكذب والادعاء الذي نعيش فيه الآن.

### من سوفوكليس إلى سارتر

النقلة التي شهدها المسرح المصري مع بداية الخمسينيات، كان من سماتها الابتعاد عن النصوص الميلودرامية المقتبسة عن الفرنسية غالبًا، وشكسبير أحيانًا، والاستعانة بالنصوص المباشرة لكلاسيكيات المسرح الإغريقي والأوروبي والحديث، من سوفوكليس وإيسخولوس إلى تشيكوف، مرورًا براسين وإبسن وحتى الكتاب المعاصرين.

من يصدق أن أسماء مثل الفرنسي جان بول سارتر والألماني فريدريش دورينمات شاهدنا أعمالهما على المسرح المصري، الذي كان يقتبس من مؤلفين كبار مثل الأمريكي تينيسي ويليامز والإيطالي لويجي بيراندللو والألماني بيرتولت بريخت.

كان من سمات هذه الفترة أيضًا الاعتماد على المؤلفين المصريين، ليس فقط توفيق الحكيم، ولكنْ أسماء صاعدة مثل يوسف إدريس ونعمان عاشور وألفريد فرج وعبد الرحمن الشرقاوي وسعد الدين وهبة، وآخرين. وجسدت سميحة أيوب مسرحيات لكل هؤلاء، وغيرهم. ربما يكفي أن يعيش المرء وسط هذه النصوص والأسماء كل يوم، يحفظ مقاطعها ويرددها على خشبة المسرح كل ليلة، لكي يشعر، فعلًا، أنه يمتلك العالم.

### حورية البحر

أبرز ما يميز سميحة أيوب كممثلة؛ صوتها العميق الرخيم القادر، حين يريد، أن يُصدّر القوة والسلطة والحكمة، وأن يكون، حين يريد، مغناجًا، يُصدّر الدلال والإغراء والدلع والرقة. هذا الصوت الذي أسر المصريين في المسلسل الإذاعي "سمارة" كما لم يفعل بهم صوت آخر، وبما إلا زوزو نبيل في "ألف ليلة" وسميرة عبد العزيز في "قال الفيلسوف". بعض من هذه الفتنة نجدها في شخصية سوسو التي تؤديها في مسرحية "سكة السلامة".

تملك سميحة أيوب صوت سيرانة/siren، حورية بحر، تلك التي تنادي البحارة فيلقون بأنفسهم إلى التهلكة. من المؤكد أن جمهور المسرح كان يشعر بقوة وفتنة هذا الصوت أكثر من جمهور أي وسيط آخر.

### محطات عديدة

دخَلت إلى التليفزيون من باب المسرح العالمي والسهرات الدرامية شبه المسرحية، ولكن مع التراجع الدؤوب للمسرح، خاصة الناطق بالفصحى، اتجهت إلى الدراما التليفزيونية التي صارت متنفسها، مع قليل من الأدوار السينمائية هنا وهناك.

على عكس المسرح الذي كانت تنفرد فيه بالبطولات، لم تسنح لها فرص لعب بطولات أو أدوار كبيرة في التليفزيون أو السينما إلا فيما ندر. بشكل ما، ورغم كثرة هذه الأعمال، تبدو هنا كالجني المحبوس داخل مصباح. ومثل معظم أبناء وبنات جيلها، أدركت سميحة أيوب مبكرًا أهمية الصحافة وضرورة كسب ود الصحفيين. مدّت جسورًا من الود و"الكرم" معهم، ما أتاح لها حضورًا دائمًا في الذاكرة والمجال العام، وتواجدًا في الأعمال التليفزيونية والسينمائية.

ويوعي أبناء وبنات جيلها، ختمت سنوات حياتها الطويلة الحافلة بالظهور في العديد من الحوارات والوثائقيات، كما لو أنها أدركت أهمية "توثيق" سرديتها ومحطات حياتها قبل الرحيل.

موقع "المنصة" المصري





# سميحة أيوب... تجلّيات إلكترا القاهرية

بروين حبيب

تكريم المبدعين الذين قدّموا لأوطانهم ولمحبّيهم الكثير، وأمتعوهم أدبا، أو موسيقى أو تمثيلا، واجب علينا وهم أحياء، أما بعد رحيلهم، كما أصبحت العادة لدينا فلا ينفع ذلك صاحبه. أذكر هذا وأنا أستحضر في ذهني عشرات ممن عاشوا حياة تعيسة، رغم إخلاصهم لفنهم ولم تلتفت إليهم أي جهة مسؤولة، بل تنكر لهم حتى زملاؤهم، وما أن ينتقلوا إلى رحمة الله حتى توضع على قبورهم النياشين وتُقام لذكراهم التكريمات، وتخترع على ألسنتهم القصص والمواقف. وفي مقالاتي عن الشخصيات التي عرفتها عن قرب أحاول الإضاءة على جوانب إنسانية لمستها تخفى عن القارئ، وإلا ما جدوى تكرار ما هو متاح في اليوتيوب ووسائل التواصل وصفحات الإنترنت.

ومن الشخصيات التي عرفتها عن قرب وارتبطت معها بصداقة تقارب العشرين عاما، سيدة المسرح العربي سميحة أيوب، وإذا كانت الشبكة العنكبوتية تخبرنا أنها الآن في عقدها التاسع، وكانت قد بدأت التمثيل وهي في الخامسة عشرة من عمرها، كما كانت مديرة للمسرح القومي المصري مرتين ومديرة للمسرح الحديث، ورصيدها من المسرحيات بلغ مئة وسبعين مسرحية، وعددا من الأفلام والمسلسلات التلفزيونية والأدوار الإذاعية المهمة. كما اختارتها وزارة التربية شخصية عامة ضمن منهج الوزارة للصف السادس الابتدائي. فكل هذا معلوم مشهور نحصل عليه بنقرة واحدة من جهازنا، أما ما هو غير معلوم فما أرويه عن حكايتي معها.

بدأت الحكاية وأنا طالبة دراسات عليا في القاهرة، تربيت مثل أبناء جيلي، بل أبناء العالم العربي كله على المسلسلات المصرية، يوم كانت القنوات قناة واحدة، والاختيارات محصورة في ما تقدمه هذه القناة. ومن جملة من حُفرت أسماؤهم في ذاكرة الطفولة والمراهقة اسم سميحة أيوب، خاصة في دور الأم الصعيدية في مسلسل "الضوء الشارد"، وقد تابعت أدوارها من "شاطئ الغرام" وهي في الثامنة عشرة من عمرها إلى "الليلة الكبيرة" وهي الثالثة والثمانين، بل حتى آخر مسلسل تلفزيوني "حضرة العمدة" الذي شاركت فيه قبل سنة، وقد تجاوزت التسعين من عمرها. وهذا ما دفعني لحضور مسرحياتها على خشبة المسرح القومي منذ أيام الدراسة، امتع ناظري وسمعي بامرأة من جيل الكبار، تتألق في دورها وتتحدى قدرات جسدها.

وحين بدأت البرامج الحوارية ترددت كثيرا قبل أن أطلب محاورتها، فهي في ذهني المرأة المهيبة القوية سيدة المسرح، بل القاسية أحيانا، ولكن كان لا بد من المحاولة، فاستضفتها في برنامجي "تلاقي مع بروين" سنة ٢٠٠٥ وكان في سنته الأولى، ومن يومها ارتبطنا بصداقة سهّلت هي سبلها باحتضانها وأمومتها وحرصها على التواصل. سلمتني مفتاح شخصيتها من أول جملة قالتها في الحوار "أعرف الخشبة أكثر من بيتي"، فرغم أنها شاركت في عشرات الأفلام والمسلسلات التلفزيونية والأعمال الإذاعية، يبقى المسرح غرامها الأول والأخير، فهي حين تسافر إلى أي دولة تسأل أول ما تسأل عن مسارحها، وقبل تقديم عرضها تتألق مع المسرح فتجول في أركانه وتلمس خشبته، وكأنها صوفي في لحظة انجذاب، في محاولة منها للتوحد معه. هي ليست مسكونة بالمسرح فقط، بل هي كائن مسرحي بحركتها ونبرة صوتها وانفعالاتها، تعيشه عقلا وقلبا وأعصابا.

وهذا السر في استمراريتها لما يقارب الثمانية عقود، ولا أدري إن كان هناك ممثل أو ممثلة، حتى في العالم الغربي من دانَاها في هذه المدة الزمنية من التمثيل. فقد جايلت ممثلي الأربعينيات وصولا إلى جيل التيكتوك والسوشيال ميديا، بتألق وتجدد وعفوية وفوق هذا بمثابرة وحضور ذهني تحسد عليهما. وليس المدهش هذه الاستمرارية فقط، بل قدرتها على تأدية أدوار مختلفة وشخصيات متنوعة من ألكترا في مسرحية "الذباب" لجان بول سارتر (وقد روت في مذكراتها كيف أعجب سارتر وسيمون بوفوار بأدائها) إلى الأم الشجاعة في مسرحية "الإنسان الطيب" لبريخت، وصولا إلى الأم الصعيدية في بعض أدوارها، والمرأة البسيطة بائعة الشاي والقهوة في الشارع كما في مسرحية "كوبري الناموس"، دون إغفال الشخصيات القوية التي أسبغت عليها من شخصيتها مثل، كليوباترا أو هند بنت عتبة.

من أول لقاء شخصي بيننا أذابت سميحة أيوب جبل الثلج بدفئها، وسرت بيننا كيمياء بدأت باتصالات هاتفية وزيارات وسفرات مشتركة وصداقة طويلة، أطال الله عمرها. وأصبح بيتها أول محطة لي في كل زيارة قاهرية، بل إن لم أتواصل معها في أي زيارة لي إلى مصر ينالني منها عتب الأم حين تتغاضى ابنتها عن واجباتها، وللحقيقة إنني أحس بقواسم مشتركة بيني وبينها، فأنا مثلها قدمت من بيئة محافظة ترفض أن تمتهن ابنتها التمثيل أو المسرح، وكان من هواياتي التي مارستها بشغف في مراهقتي، وقد أكون ذهبت إلى العمل التلفزيوني، حتى أبقى قريبة من البيئة التي عشقتها وانبهرت بها، وأنا مثلها أيضا تمرّدت على محيطي بعض التمرّد، لا كله، حين مضيت وراء حلمي بما جرّه عليّ ذلك من مضايقات وتحديات، لذلك وجدت فيها مثلا أعلى للسعي وراء تحقيق الأهداف مهما كانت العوائق. فكانت مدرسة لي تعلمت منها أشياء كثيرة مثل، المقاومة بالعمل، ولا تفارقني نصيحتها حين ترى على وجهي علامات الإجهاد من ضغوط العمل تقول لي بحنو الأم، ورأفة الصديقة "انتبهي لوجهك فنحن نشتغل بوجوهنا، الميكاب يساعد على إخفاء التعب شكليا لكن لا يزيله"، وحاولت مثلها أن أفصل حياتي الشخصية عن العمل، فنجحت حينا وفشلت أحيانا أخرى، خاصة في تعلم شدّتها، وفي بعض القرارات التي تستدعي فصلا وحسما، لذلك كنت ألتجئ إليها لأقاسمها حماقاتي وخيباتي العاطفية، وأستمد من نصائحها وقوة شخصيتها ما يُعينني على تحمل بيئة قائمة على الضغوط، تأكل أعصاب أصحابها مثل بيئة العمل الإعلامي.

أشد ما يدهشني ويعجبني في الفنانة سميحة أيوب حضورها الدائم في الفعاليات والأنشطة التي تثير اهتمامها وهي، الحاضرة عبر صوتها وصوت زميلها عبد الله غيث في التعليق الصوتي على المواقع الأثرية في مصر، سواء في الأهرامات أو في أسوان والأقصر، فهذا الجلد والإصرار على العمل مثيران للإعجاب مع سنّها العالية، أذكر أيام وباء كورونا حين كنت أطمئن عنها تجيبني "لقد أصبحت جزءا من الكنبة فأنا لا أتحرك"، ولكنني أتفاجأ أنها اشتركت في أحد المسلسلات وهي في التسعين من عمرها، أو ما تزال تقرأ السيناريوهات وتعطي رأيها موافقة ورافضة، وتمثل وتنزل إلى أماكن التصوير، فالعمل يسري في دمها مع حرصها على الظهور بشكل لائق لا يسيء إلى تاريخها الفني، وأخبرتني أنها ترددت كثيرا قبل أن توافق على مشاركة الفنان الكوميدي محمد هنيدي فيلم "تيتة رهيبة" ولكنها جازفت ومثّلت ونجحت. ومن غيرها مثل مع يوسف وهبي ومع محمد هنيدي وتألقت في الحالتين.

حواراتي معها لا تنقطع، فقد كانت تتابع حلقاتي وتقدم لي ملاحظاتها مبدية إعجابها، أو حتى عدم رضاها أحيانا، فلم تبخل بأي توجيه، بل يمتد الحوار بيننا إلى تقييمها لما تُشاهد مسلسلة بمعرفة كبيرة بالممثلين والحقب الفنية وبذاكرة عجيبة تختزل ثمانين سنة من عملها الفني، وحين سألتها يوما عن سر قوة ذاكرتها، أرجعت ذلك إلى اتباعها نظاما غذائيا صحيا، ولا أعتقد أن هذا النظام الصحي هو مصدر خفة دمها أيضا وسرعة بديهتها وطربها للنكتة تلقيا وإلقاء، فرغم ما يظهر من صرامتها وقوة شخصيتها في داخلها تعيش البنت (الشقية) في تجلٍ حقيقي للروح المصرية الأصيلة.

ولأنها عاشقة المسرح الأبدية، كانت وما زالت تحرضني على ممارسة التمثيل المسرحي، وحين سمعت إلقائي للشعر قالت لي "لقد أخطأت طريقك كان يمكن أن تتجهي إلى المسرح". وكم سعدت مؤخرا حين قدّمتْ شهادة بحقي في برنامج "ليالي الكويت" التلفزيوني، ولما علقت المذيعة قائلة: "سمعت أنك الصندوق الأسود لبروين حبيب"، أجابت بخفة دمها: "لا، أنا الصندوق الملون". في لمسة وفاء من سيدة متحفظة جدا في صداقاتها، ولكن حين تصادق تكون الترجمة العملية لكتاب أبي حيان التوحيدي "الصداقة والصديق". هذه هي الفنانة سميحة أيوب التي قال عنها چان بول سارتر يوما "أخيراً وجدت إلكترا في القاهرة".

عن القدس العربي

# سميحة ايوب.. سيرة امرأة إستثنائية

شعبان يوسف

رحلت السيدة العظيمة التي ظلّت تعطي وتقاتل وتخدم الفن وخشبة المسرح عقودًا تزيد عن السبعين عامًا، وهذا عمر فني لم يصل إليه كثيرون، وهي قد وثقت ذلك العمر الفني في مجلد ضخم صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ٢٠٠٢ "مشروع مكتبة الأسرة"، وفي تلك السيرة، رصدت وحللّت وقرأت واعترفت فيه كثيرًا، وقدمت سفرًا غنيًّا بالمعلومات والأفكار والتأملات التي جاءت مفاجأة كاملة لواحدة عاشت تفاصيل وصعود النهضة المسرحية في عقديّ الخمسينات والستينات، كما رأت انهيار تلك النهضة في عقد السبعينات، ولكنها كانت تختار، وتطيل في تأمل الأدوار التي تقوم بها، وفي سيرتها الذاتية سنجد الكثير الكثير الذي لا يخص سيدة المسرح الكبيرة فقط، لكننا سنجد الكثير مما يخص تاريخ المسرح والثقافة والفن عمومًا في حياتها الغنية، والسطور القادة كانت مساهمتي في مهرجان المسرح المصري الذي انعقد في عام٢٠٢٣، وهو البحث الوحيد الذي تناول سيرتها وحياتها، والجدير بالذكر أن الدورة التالية تم إطلاق اسم الفنان العظيمة كتكريم لها في العام التالي ٢٠٢٤.

قبل أن ندخل إلى عالم الذكريات الذي فتحته أمامنا الفنانة سميحة أيوب، أشرت أن تكتب كلمة قصيرة لتقدم بها المذكرات، إذ كتبت: "عندما جلست لأكتب مذكراتي للمرة الأولى، ترددت كثيرًا قبل أن أمسك بالقلم لأخط مشاهد مسيرة حياتي الفنية، ماذا أكتب، ولماذا، وكيف؟، وبعد أن أمسكت بالقلم بدأت الذكريات تتداعى في خاطري لتتحول أمامي على الورق إلى لحظات من لحم ودم ومشاهد مسرحية وسينمائية، وأحيانا مسامع إذاعية، لم تكن مسيرة حياتي تلك، مجرد لحظات عابرة في حياة فنانة، وهبت حياتها لفنها ووطنها ولأمتها"، هذه بعض عبارات وردت في مستهل الذكريات التي كتبتها للمرة الأولى بدعوة من الكاتبة سناء البيسي لكي تنشرها في مجلة "نصف الدنيا" التي تصدر عن مؤسسة الأهرام، وكانت الأخيرة تديرها ترأس تحريرها، وبالفعل نشرت سميحة مذكراتها في المجلة، وبعد ذلك تم جمعها ونشرها في عدة طبعات، حتى أن نشرت في الهيئة العامة للكتاب، وتنهي المقدمة بتلخيص واف للهدف الذي أرادت أن تشرحه الفنانة الكبيرة، حيث قالت: "هي رحلة كفاح ومعاناة ومتعة، تلك المتعة التي لا يشعر بها إلا فنان آمن بفنه وبإبداعه، وبقدرة هذا الفن، وذلك الإبداع على أن يرسم مسيرة وطن يطمح إلى مستقبل أفضل".

وقبل أن ندخل إلى عالم مذكرات سميحة أيوب، نقرأ مقدمتين، الأولى للكاتبة الصحفية سناء البيسي، والثانية للناقد الراحل الكبير رجاء النقاش، والمقدمتان تتمتعان بقدر جاد وكبير جدًا من الإنشاء الجميل دون الوقوف عند قسمات وملامح وسمات المذكرات، أو الذكريات، مقدمتان فيهما نوع من الدعاية الواضحة، وإن كنت تمنيت من الكاتبين الكبيرين غير ذلك، لأن سميحة أيوب لم تكن مذكراتها في حاجة إلى ذلك، ونقرأ في الاستهلال الذي جاء في مقدمة البيسي الذي يقول: "صاحبة الصوت المميز الذي يستدعيني من أي هناك، من أفكاري، من مشواري، من شرودي، من انشغالي، من غيبوبتي، من السقوط إلى بدروم النفس، يستدعيني على الفور فأهرول إلى حضرته لأضرب تعظيم سلام وأنا واقفة في وضع التمام على عتبته"، وهكذا تسترسل الكاتبة الكبيرة سناء البيسي في تعظيم المذكرات دون التوقف عند أي المحطات التي تواجهنا في الكتاب، ربما يقول البعض بأن هذا هو المطلوب في مثل تلك المقدمات، لكنني أعتقد أن الروح الدعائية والإنشائية التي تصاحب أي كتابة دون تأملها، وتحفيز القارئ لنقاط تثيرها الكتابة، تدخل في باب التسويق السلعي، وربما يكون هذا جائزًا للعزيزة سناء البيسي، لكنني وجدته كذلك في مقدمة أستاذي الكبير الناقد رجاء النقاش، وكنت أنتظر منه ــ وهو الناقد الأهم في مصر ــ أن يشاغب المذكرات كما تعودنا منه، وفي حقيقة الأمر فإن ذكريات سميحة أيوب، ولا هي شخصيًا تحتاج إلى مثل هذه الأمور، فهي من هي، وأرست لنفسها سلسلة من النجاحات الكبيرة على أكثر من سبعين عامًا، ولم يبق سوى تأمل تلك الرحلة، والتفاعل معها بالشكل الذي يليق بها، ومما كان يدهشني رغم أنها سميحة أيوب العظيمة، أنني كنت أفاجأ على مدى العقدين المنصرمين حتى الأعوام القليلة الفائتة، بمن يجري تغطية لحديث تلفزيوني للفنانة، أو تغطية لندوة أو لقاء هنا وهناك، ويقول ــ على سبيل المثال ــ: "الفنانة سميحة أيوب تكشف لأول مرة أسباب انفصالها عن الفنان محمود مرسي"، وهكذا نجد موادًا كثيرة من هذا النوع تتواتر في الصحف والمواقع، وكأنها نوع من السبق الصحفي، والمفاجأة أن كل ذلك سردته سميحة أيوب في كتابها "الذكريات" الذي نشر في مشروع مكتبة الأسرة عام ٢٠٠٢، ذلك المشروع الذي ترعاه الهيئة المصرية العامة للكتاب، وتطرحه في الأسواق بأقل الأسعار، ليصبح أوسع مشاريع النشر انتشارًا، وهذا يدل ــ للأسف ــ على ظاهرة أن لا أحد يقرأ، ولا أحد يتابع، حتى لو كان المؤلف في عظمة وأهمية وقيمة وسيرة سميحة أيوب.

ربطت الفنانة سميحة أيوب بين تطورها الفني وتمثيلاته المتعددة في المسرح والسينما والإذاعة، وبين زيجاتها الثلاثة المذكورة والمعلنة والمعروفة، وهذا ما لاحظناه في بداية المذكرات، فبعد أن سردت دهشة البدايات، عندما سمعت من الراديو أن معهد الفنون المسرحية يطلب أنسات للانضمام إلى المعهد، وسوف تأخذ كل فتاة من الفتيات عندما تنجح، مكافأة قدرها ستة جنيهات، وتوقفت سميحة عن عملية المذاكرة التي كانت تحدث على مائدة الطعام، ولفت انتباهها ذلك الخبر أو الإعلان الذي انطلق كمفاجأة لها من الراديو، ولم تتوقف المفاجأة عند ذلك الحد، بل تطورت عندما رأت زميلتها ــ في المدرسة ــ تماضر، وقالت لها:

(إيه رأيك تيجي معايا

ــ فين؟

ــ رايحة امتحن في معهد التمثيل، ويارب أنجح، وستأخذ البنت اللي تنجح في الامتحان ستة جنيه، ماتيجي معايا ياسميحة أهو نتسلى ونتفرجي)

ودون الاسترسال في سرد وقائع كثيرة وأحداث كلها مذكورة في الكتاب، فهذه هي البداية التي أشعلت شرارة الفن عند سميحة أيوب عندما التحقت بمعهد التمثيل، والتقت هناك بمجموعة من الدارسين الذين أصبحوا نجومًا كبارًا فيما بعد مثل عمر الحريري ونعيمة وصفي ومن ولادها، لكن لم تتم الموافقة عليه، وذلك لصغر عمرها آنذاك، الذي كان ستة عشر عاما، وليس خمسة عشر كما هو شائع، حيث أن ميلادها كان في ٨ مارس ١٩٣١، وليس ١٩٣٢، ولكن شكري سرحان لم ييأس، وأوصى عليها زميله الفنان محسن سرحان، الذي خطبها بدوره، وحدث معه ما حدث لشكري سرحان، ولكن سميحة لم تستسلم في تلك المرة مثلما حدث مع شكري سرحان، وتركت منزل أهلها، وقررت حسم الزواج من محسن سرحان، ولكن أول قرار كان قد اتخذه محسن سرحان هو إيقافها عن مواصلة الدراسة، وتقليص نشاطها الفني، وهذا مما عطلها كثيرًا في تلك الفترة، وعندما حدث الطلاق عادت مرة أخرى إلى المعهد، وبالتالي إلى التمثيل، ولكن كان أقرانها الذين بدأت معهم حققوا أشكالا من التقدم، وتجاوزوها، وكان عليها أن تبذل قصارى جهدها، وسوف نجد أن بعضا من السخط لديها قد صرّحت به وعبّرت عنه في المذكرات، وذكرت أن الغيرة كانت مسيطرة عليه بشكل كبير، للدرجة التي كان يغلق عليها الباب في البيت وهو خارجه.

هذا ما كتبته باستفاضة في المذكرات، ولكنني عثرت على مقال لها، كانت قد كتبته في مجلة روز اليوسف عام ١٩٥٤، وكان عنوانه: "كيف أنقذني محسن سرحان"، واستهلت سمحية مقالها بقولها: "كانت هوايتي في الصغر أن أشاهد الأفلام السينمائية، ثم أعود إلى البيت لأنصب في الفناء مسرحا صغيرا أزينه ببعض الورود القديمة وأعيد تمثيل ما رأيته على الشاشة، وكانت هذه الهواية تعجب أهل البيت الذي أعيش فيه لأنها تسليهم..."، واستطردت سميحة في مقالها لكي تخبرنا بأن الأهل كانوا يشجعونها على تطوير مسرحها الصغير، حتى أن كبرت، وكبرت معها موهبتها، ثم التحقت بمدرسة سان جوزيف في عام ١٩٤٢ــ لا بد أن أذكر هنا، بأن عنصر ذكر التاريخ في الذكريات شبه مهمل تماما ــ، وكونت مع صديقاتها فريقًا من التمثيل لم تعترف به المدرسة، ولكنها اعترفت به بعد ذلك، وهذه كانت الخطوة الثانية، أما الخطوة الثالثة، فهي الالتحاق بمعهد التمثيل، ولكنها لم تصرّح لأهلها بتلك الخطوة حتى تسرّب الخبر إليهم بشكل ما، وهذا مما شكّل لها أزمة كبيرة، حتى أن تصل إلى قولها: "وفي وسط هذه العواصف أرسل الله لي من ينقذني من حرجي في شخص الزميل محسن سرحان الذي رآني في أحد تلك الأيام فأحبني، وأحببته، وتزوجنا"، وأنجبا طفلهما الذي أسمياه "محمود فهمي النقراشي" ــ تيمنا برئيس وزراء مصر الذي تم اغتياله عام ١٩٤٨ــ، وعاشت سميحة مع محسن عامًا ونصف العام، بعدها تم الطلاق، ولكنها كانت تشعر بالحسرة على ما فاتها، حيث تقول في مقالها: "ولكن أنباء فرقة المسرح الحديث كانت تصلني بين الحين والآخر فتملأ قلبي بالحسد على أولئك الزميلات اللاتي كنت أعتبر أنني واحدة منهن"، ولذا راحت سميحة تطلب الطلاق بعدما تحولت حياتها إلى جحيم، ولم يكن زوجها مصدقا لما تقول بعدما كانت تعتبره منقذها الأول من حياتها الرتيبة، ولكنها أصرّت على الطلاق بحسم حتى حدث، وتختم سميحة مقالها بقولها: "إنني اليوم أعيش لفني، ولزوجي الجديد، وتمر هذه الأحداث بذاكرتي، فأعجب كيف يتكون الفنان في حياته".

في هذه المرحلة باحت سميحة أيوب بأن زوجًا ما في حياتها، ولكنها لم تعلن عن اسمه، ولم أستطع أن أستدل عليه من خلال متابعتي لصحف تلك الأيام، لأن الصحف والمجلات حسب حدسي، كانت تعمل حسابًا كبيرًا لمحسن سرحان الذي تزوج فورًا بعد انفصاله عن سميحة، وكان يظهر بزوجته الجديدة في كافة المنتديات، وبالتالي لم يكن إسم زوجها الذي وصفته بالجديد متداولًا أو معروفًا، وهو قبل زواجها بالفنان محمود مرسي الذي تزوجته عام ١٩٥٥، وهو التاريخ الوحيد الذي ذكرته في مذكراتها، وعلى عكس محسن سرحان كان محمود مرسي الذي أعطاها حريتها بشكل كامل لدرجة الإفراط، وربما لم يصلح ذلك الإفراط للزواج، ولكنه كان سببًا جديدًا في الانفصال بعد أن ارتبطت سميحة بالمسرح والإذاعة، خاصة بعد مسلسلها الناجح "سمارة" الذي قامت ببطولته عام ١٩٥٥، وأحدث دويًا كبيرًا، وكانت شوارع القاهرة تخلو تمامًا أثناء إذاعة المسلسل، وكان وجود الفنان محمود مرسي في حياتها كمثقف وفنان وزوج، دافعًا مهمًا للغاية لكي تبدع أكثر وتصل إلى درجات عليا في التمثيل المسرحي والإذاعي.

لا أريد أن أنغمس في التاريخ الشخصي لحياة سميحة أيوب، ولكن ارتباط الخاص عندها بالعام كان واضحًا تمامًا، حتى المعارك التي كانت تجد نفسها فيها، كان زوجها محمود مرسي يدفعها لها ويرشدها بنبل كبير، ويؤازرها، خاصة عندما دسّ البعض، بعضًا من الافتراءات على الفنان زكي طليمات، وتم إبلاغ لجنة التطهير بإقصاء ذلك الرجل عن منصبه، وإبعاده عن أدواره التي كان يقوم بها، وللأسف كان قائد تلك الحملة ضد طليمات، كان عبد الغني قمر الذي تزعم حملة التوقيعات على المذكرة التي سترسل لمجلس قيادة الثورة، وكانت هي قائدة الحملة التي وقفت ضد هذا الفعل الرديء كما وصفته.

ولم يكن انفصالها عن زوجها محمود مرسي مزعجاً، بل كان هادئًا للغاية كما وصفته، رغم أن ذلك الانفصال كان محزنًا بالنسبة لها، لكنه لم يرد أن يشكل أي عقبة لها في حياتها، وعندما كانت تطلب منه أن توافق على القيام بأكثر من دور في أكثر من مسرحية، كان يقول لها: هذا مستقبلك، وأنت حرة فيه، ولكنه مع تقادم الأيام والزمن، لم يستطع كزوج أن يحتمل ذلك الأمر، فانسحب في هدوء بعدما عاشت معه أيامًا جميلة، وظلت تكن له احترامًا طوال حياتها، وكانا قد أنجبا ابنهما علاء، وانفصلت عنه وهي متأثرة، وحائرة بين حبين، حب زوجها محمود مرسي، وحب عملها للمسرح، ولكنها انتصرت للمسرح، وأثر هو ألا يكون مزعجًا لها في ذلك، وكانت تعرف أنها في مرحلة تكوين وتطور، فامتزجت حياتها بالمسرح، وقامت بأدوار كبيرة في تلك الفترة، وعلى رأسها القيام ببطولة مسرحية "الموسى الفاضلة" للفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر في نوفمبر عام ١٩٥٨، التي ترجمها مازن الحسيني، وأخرجها الفنان حمدي غيث، وقامت هي بدور ليزي، والذي أطلق عليها "الموسى الفاضلة"، والتي شاركها البطولة عمر الحريري وحسن البارودي وتوفيق الدقن وحسين رياض، وكانت سميحة أيوب قد بلغت أوجًا تمثيليا في المسرح عظيما، وبالطبع كان عنوان المسرحية صادما لكثير من النقاد، حتى أنها عندما طرحت عليها البطولة، توجست، وكادت أن ترفض، لولا أنها أجرت مناقشة مع حمدي غيث، وشرح لها بأن "ليزي" بطلة المسرحية، كانت تخفي أحد الزنوج في مواجهة العنصريين، وتكبدت أشكالا من المشقة والتعنت لكي تحميه دون أن تنتظر أي مكافأة، ولكنها كانت تقوم بذلك الدور بدافع النبل فقط لا غير، ودفاعا عن العدالة المهجورة، وعندما تفهت الدور، أحببته بقوة شديدة، ولذلك قامت به وأدته ببراعة غير مسبوقة.

وقد كتب عنها الناقد الفني كامل يوسف في ٢٤ نوفمبر بجريدة المساء قائلا: "وقد أمتعتنا (سميحة أيوب) بدراسة مستفيضة لمعالم الغانية من حيث اللفظ والحركة"، كما أن أنيس منصور كتب مقالًا في ٢٥ نوفمبر بجريدة الأخبار وأشاد بها وبالمسرحية

وبالعرض المصري إشادة كبيرة، وكتب عبد الفتاح الفيشاوي مقالا في ١ ديسمبر ١٩٥٨ مقالا بجريدة "القاهرة"، بدأه بالإشادة بسميحة أيوب قائلًا: "سميحة أيوب في شخصية (الموسى الفاضلة)، وصلت إلى أقصى طاقتها الفنية، وسيظل هذا الدور من مفاخرها، فقد أدته في جرأة شديدة، وليونة على الرغم من الانفعالات العنيفة التي تؤلف هذه الشخصية، فإنها ترفض أن يلمسها الزنجي، وتثور في وجهه مخفية السبب الذي من أجله هرب من غرفتها، ثم تنتقل إلى التفكير السريع في حمايته، وكل انفعال من هذه الانفعالات المتتابعة له عند سميحة وقع خاص، دون أن يختلط كل انفعال بآخر"، ولم يقتصر الأمر في الكتابة عند نقاد الفن فقط، لكنه استدعى واحدًا من أعضاء مجلس قيادة الثورة، وهو خالد محيي الدين الذي كتب مقالًا في جريدة المساء التي يرأس تحريرها، ويكتب مقالًا ثابتًا ويوميًا، قال: "أما من ناحية الموسى، فقد أظهرت المسرحية ان بها بقية من ضمير حاولت أن تستخدمه، ولكنها استسلمت في النهاية لظروف مجتمعها، ولكن في ألم وبكاء".

ورغم أن المسرحية نالت قدرًا من تجاوب مرتادي المسرح القومي عندما تم عرضها في مصر، إلا أن المتابعات الصحفية كانت متنوعة بين السلبي والإيجابي، بينما أثرت مجلة الغد اليسارية التي صدر عددها الفصلي في ديسمبر ١٩٥٨ ألا تقترب من الموضوع بأي كلمة، بينما نشرت مجلة روز اليوسف في ٣ نوفمبر ١٩٥٨ على صفحة كاملة دون توقيع تحت عنوان "انقلاب في المسرح المصري"، ذكرت فيه كل مسرحيات الموسم، ما عدا مسرحية "الموسى الفاضلة"، كما أن محمود السعدني كتب في ١٥ ديسمبر بذات المجلة مقالًا عن كافة المسرحيات المعروضة، ولكنه لم يأت أيضًا على ذكر المسرحية، بينما نشرت المجلة خبرًا غريبًا ومثيرًا عن سميحة أيوب يقول الخبر: "بعد أن تم طلاق الممثلة سميحة أيوب من زوجها الرسام الإيطالي الأصل، قرر الزوج مغادرة القاهرة إلى الأبد ليعيش في إيطاليا، فأقامت له سميحة أيوب حفلة وداع، وفي نهاية الحفلة قبّلت سميحة زوجها السابق قبلة الوداع وتمنت له حظًا سعيدًا".

هذا الحراك الذي حدث آنذاك، يدل على أن المسرحية أحدثت دويًا لم يحدث من قبل، خاصة أن المرحلة كانت ثورية بدرجة كبيرة، وكانت الجزائر تشهد تعاطفًا شديدًا من الحكومة المصرية، وكان جان بول سارتر أحد الذين كانوا منتصرين للقضية الجزائرية، ويبدو أن تفوق ونجومية سميحة أيوب المنقطعة النظير، قد أوغرت صدور البعض في ذلك الوقت، وبهذه المناسبة، أن تلك المسرحية تم عرضها في مطلع عام ١٩٦٧ عند زيارة جان بول سارتر القاهرة، وشهدتها حشود من المثقفين والكتاب والساسة وجان بول سارتر نفسه، وفي ذلك الأمر تكتب سميحة أيوب قائلة: "وانتهى العرض، وإذا بسارتر وسيمون دي بوفوار يصعدان خشبة المسرح وسارتر يقبلني ويقول لي:

ــ أخيرًا وجدت الكترا في القاهرة.

وكان سارتر فرحا وسعيدا"

لا تكتفي الفنانة الكبيرة سميحة أيوب بسرد تاريخها الشخصي، وهو لم يكن تاريخا شخصيا بشكل محض، بقدر ما كان مرتبطا بالمناخ العام، والأحداث العامة، وبعد ارتباطها زوجيا بالكاتب المسرحي سعد الدين وهبة، ارتفعت وتيرة الارتباط بين الأحداث العامة والخاصة بشكل لا يقبل الانفصال، خاصة أن سميحة كانت تقوم ببطولة بعض أدوار مسرحياته، بالإضافة إلى أن سعد الدين وهبة كان مسئولا كبيرًا في وزارة الثقافة في مراحل كثيرة من حياته، وكان هذا ينعكس أحيانًا عليها بالسلب، وعلى سبيل المثال أنه عندما تولى إدارة السينما، وجد أن خمسة مخرجين اختاروا سميحة لكي تلعب دور البطولة في الأفلام الخمسة، فما كان منه إلا أن يشطب ويحذف اسمها من الأفلام الخمسة حتى لا يقال أنه كان يستغل منصبه في الاستفادات الشخصية.

لا تريد الرغبة أن تكف عن التدفق في قراءة تلك الذكريات، أو السيرة الذاتية، والتي لا تكتمل فائدتها وجدواها، إلا بالتدقيق التاريخي من خلال الوثائق والأصول التي لا تنتهي، وهذا يعني أن تلك الذكريات تمثل ركنًا أصيلًا في بناء الذاكرة، وبناء مدونة تاريخية عظيمة، لأن صانعي ذلك التاريخ عظماء وجادين، واستطاعوا أن يؤدوا أدوارهم بأكثر مما ينبغي، وعلى رأس هؤلاء الفنانة الكبيرة سميحة أيوب.

عن الدستور المصرية

# سميحة أيوب... المُلهمة والأيقونة

فاطمة سيف

بعد مسيرة فنية اتّسمت بالتمرّد على صورة المرأة النمطية في التمثيل، رحلت "سيدة المسرح العربي"، الفنانة المصرية سميحة أيوب (١٩٣٢ ـ ٢٠٢٥) أمس الثلاثاء، عن عمر ناهز الـ٩٣ عاماً.

امتدت مسيرتها على أكثر من سبعة عقود، قدمت فيها أكثر من ١٧٠ عملاً مسرحياً، في رصيد يُعدّ من الأغنى في تاريخ المسرح العربي.

ولدت أيوب في ٨ آذار (مارس) عام ١٩٣٢ في حيّ شبرا في القاهرة، ودرست التمثيل في المعهد العالي للفنون المسرحية، تحت إشراف روّاد كبار، أبرزهم زكي طليمات. بدأت مسيرتها عام ١٩٤٧، لتصبح واحدة من أبرز ممثلات المسرح العربي.

### إرث فنيّ استثنائي

حضورها الطاغي وصوتها القويّ، ساعداها في تجسيد أدوار شخصيات نسائية مركّبة، عكست الصراع الإنساني وأسئلته الوجودية، خصوصاً في مسرحيات: "سكة السلامة"، و"السبنسة"، و"رابعة العدوية"، و"دماء على ستار الكعبة"، و"سقوط فرعون".

وفي التلفزيون، قدّمت أيوب أداءً اتّسم بالقوة والرُّقي، وتألّقت في أعمال درامية مثل "الضوء الشارد"، و"أوان الورد"، و"المراويّة". أما في السينما، فبرزت في أفلام من بينها "أرض النفاق"، و"فجر الإسلام"، و"بين الأطلال"، إذ جمعت في أدائها بين انعكاس التكوين النفسي للشخصية والبُعد الجمالي في الأداء.

### مسرح نسائي مستقل

في الحقيقة، حين يُذكر المسرح العربي في القرن العشرين، لا بد من ذكر اسم سميحة أيوب، فهي تُعَد أحد أعمدته النسائية التي لم تكتفِ بأداء الأدوار، بل أسهمت في صياغة ملامح حضور المرأة في هذا الفن، على نحو يتجاوز الاعتبارات الجمالية أو العاطفية.

لقد شكّلت تجربتها مساراً موازياً لتحوّلات المسرح العربي من الترفيه إلى الجديّة، ومن الخطابة إلى الدراما الاجتماعية والفكرية، فكانت سميحة أيوب بمنزلة صوت أنثويّ مؤثر، فرض نفسه ضمن فضاء لطالما سيطرت عليه المقاربات الذكورية.

منذ بداياتها، تمرّدت سميحة أيوب على الصورة النمطية للمرأة في المسرح، تلك التي تحصرها في أدوار المرأة الرومانسية، أو الأدوار الثانوية كـ "تابعة" للرجل.

وقدّمت نموذجاً مختلفاً للممثلة المسرحية، المرأة التي تحمل النص بأكمله من دون أن تكون مجرّد تابع. أداؤها كان مركّباً، لغته الجسد كما الكلمة، وتميّزت بقدرة على احتواء التراجيديا الإنسانية من دون الوقوع في الميلودراما. لم تُرد للمرأة أن تكون مجرّد انعكاس للرجل، بل كائناً مكتملَ التكوين الدرامي.

اختارت أيوب النصوص التي تعكس أزمات الإنسان، واختارت الشخصيات التي تنطوي على توتر داخلي وصراع وجودي، مثل دورها في مسرحية "الفتى مهران" و"السلطان الحائر"، حيث جسّدت نساءً ذوات شخصية مركّبة، يحملن خطاباً يتقاطع مع قضايا الحرية والعدالة والهوية.

### انخراطها في المسرح السياسي والاجتماعي

أسهمت أيوب في ترسيخ المسرح بوصفه أداة للوعي والنقد، فعملت مع كُتّاب أمثال سعد الدين وهبة، وعبد الرحمن الشرقاوي، ويوسف إدريس، وأدت أدواراً في نصوص تكشف عن التناقضات الطبقية والسياسية في المجتمع. أداؤها لم يكن مزخرفاً، بل مفعم بالصدق والحس النقدي، ما جعلها قادرة على إيصال الرسائل الفكرية من دون خطابية مباشرة.

تُوّج حضورها الفني بمنصب مديرة "المسرح القومي المصري" (١٩٧٢–١٩٨٥)، في سابقة نادرة لسيّدة في هذا المنصب. لم تكن إدارية تقليدية، بل مبدعة ومشرفة فنية، دفعت بالمسرح القومي لتقديم عروض ذات مستوى فكري وجمالي عال. شجّعت على تجارب إخراجية جديدة، وقدّمت الدعم لكتاب وممثلين صاعدين، ما أتاح تنوّعاً لافتاً في محتوى المسرح القومي آنذاك.

استمرت أيوب في المسرح لعقود، من دون أن يتراجع حضورها أو تتنازل عن خياراتها الفنية. كما ألهمت أجيالاً من الممثلات في مصر والعالم العربي، وفتحت لهن الطريق للتفكير في المسرح كمسار مهني جاد لا يقتصر على النجومية السطحية. هكذا، فقد كانت تجربتها تجسيداً حيّاً لقدرة المرأة على التأثير من داخل البنية المسرحية، لا من هوامشها.

برحيلها، تفقد الخشبة العربية إحدى أكثر نسائها تأثيراً وعمقاً، لكنّ أثرها يظل باقياً في وجدان المسرح.

عن اخبار اليوم

# سميحة أيوب وذكريات عمرها 45 عامًا

ناصر عراق

كيف رأيت السيدة سميحة أيوب تمثل بتألق على خشبة المسرح؟ بل كيف شاهدت أداءها أثناء البروفات؟ وكيف كانت تدير دفة العمل في المسرح القومي العتيد عندما كانت مديرته بصفة رسمية؟

دعني أقصص عليك قبسات من ذكريات خاصة جدًا مع السيدة سميحة التي رحلت عن عالمنا صباح اليوم ٣ يونيو ٢٠٢٥.

بدأت الحكاية يوم السبت ١٣ أكتوبر ١٩٧٩ وهو أول يوم دراسي لي في كلية الفنون الجميلة بالزمالك، حيث سألت في ذلك اليوم عن فريق المسرح بالكلية وكيفية الانضمام إليه.

وبعد ذلك بأسبوع واحد فقط، أي في مساء السبت ٢٠ أكتوبر ١٩٧٩ وجدتني أتسلل إلى مقر المسرح القومي العتيد بميدان العتبة لألتحق بنادي المسرح المصري نظير اشتراك قيمته ٤ جنيهات سنويًا.

هذا النادي أسسته السيدة سميحة أيوب التي كانت تشغل منصب مدير المسرح القومي في ذلك الوقت، حيث وفرت بعض غرف المسرح لعمل النادي، وقد شاركها في تأسيس هذا النادي كوكبة معتبرة من مثقفي مصر ومبدعيها أذكر منهم:

الدكتور فوزي فهمي والدكتور سمير سرحان والدكتور أسامة أبوطالب والأستاذ صفوت شعلان والأستاذ مرسي نويشي والفنان حسن درويش وغيرهم.

المهم تلقينا العديد من المحاضرات النظرية عن المسرح وتاريخه، وكذلك تعرفنا على فنون الأداء المسرحي ومدارسه.

من ضمن الذين تلقينا علوم المسرح على أياديهم الأستاذ الفنان عبدالغفار عودة والدكتور نبيل منيب المخرج الكبير.

في ذلك الوقت كنت أحرص على الذهاب يوميًا إلى المسرح القومي مبكرًا، لأرى السيدة سميحة وهي تصعد ركضًا إلى مكتبها وهي تصيح:

– عبده ... القهوة يا عبده

هذا المشهد يتكرر يوميًا، بينما أبتهج وأقول لنفسي: يومًا ما سيهبني القدر نعمة الوقوف أمام السيدة سميحة ممثلا.

في ذلك الوقت – ١٩٨٠ – بدأ المخرج الكبير الأستاذ شاكر عبداللطيف بروفات مسرحية [رابعة العدوية] التي كتبها بلغة شعرية عذبة الراحل الأستاذ يسري الجندي.

لعبت السيدة سميحة دور رابعة، وشاركها البطولة كل من يوسف شعبان ورشوان توفيق وحمزة الشيمي وناهد سمير وإحسان شريف وفريدة مرسي ومحمود الزهيري وناهد سمير ونبيل دسوقي وغيرهم من أساتذة المسرح القومي.

هكذا حرصتُ على حضور البروفا يوميًا، فكنت أجلس بمفردي في منتصف الصالة لأتابع توجيهات المخرج وأداء الممثلين والمتابعة الحثيثة من مساعد المخرج شريف عبداللطيف حيث صرنا صديقين ساعتها.

أذكر في إحدى البروفات أن قطعة ديكور كانت ستتدلى من السقف عندما تتحدث السيدة سميحة وهي جالسة على الأرض..

لم تتدل القطعة للأسف في الموعد المحدد، وانزعج المخرج واحتد بشدة، وعلى الفور نزعت السيدة العظيمة ثياب شخصية [رابعة] ونهضت واقفة واستردت في لحظة منصبها المرموق وصاحت محذرة ومنذرة ومهددة الذين تأخروا في تنفيذ الديكور.

أقول لكم: إنني فوجئت بامرأة أخرى غير النجمة التي تصول وتجول في البروفا وتهيم حبًا في رشوان توفيق!

هنا رأيت أمامي سيدة حازمة تعرف كيف تدير هذا الصرح العتيد بحكمة وذكاء.

وأذكر أيضًا أن الأستاذ صفوت شعلان مدير نادي المسرح اصطحبني إلى مكتبها لأهديها نسخة من مجلة [أوراق] التي أصدرت العدد الأول منها مع صديقيّ سعيد شعيب ومحمد القدوسي في ٤ يناير ١٩٨١.

صافحتني بمودة، فهي تعرف ملامحي من إقامتي الدائمة في المسرح، ثم تصفحت المجلة بهدوء وتمنت لي التوفيق مع وعد بإجراء حوار طويل معها، وهو ما لم يحدث للأسف.

السيدة سميحة أيوب علامة فارقة في تاريخنا المسرحي بشكل خاص، وفن التمثيل بشكل عام..

ويا ست سميحة ... شكرًا جزيلا على وجودك الجميل في حياتنا.

عن موه سينماتيك





# سميحة أيوب: من تمرد الشخصية إلى تحرير الوعي النسائي

يسري حسان

عاشت الفنانة المصرية الكبيرة سميحة أيوب والملقبة بـ"سيدة المسرح العربي" ٩٥ سنة، أمضت منها ٧٨ سنة في الفن، ونالت عددا من الجوائز والتقديرات والألقاب خلال هذه المسيرة التي تعد الأطول، ربما في تاريخ الفن العربي.

امتلكت الفنانة الراحلة شخصية قوية لم تؤثر فيها المحن (وفاة ابنها محمود من زوجها الفنان الراحل محسن سرحان) ولا سنوات العمر الطويلة، فقد ظلت حاضرة سواء بأعمالها الفنية أو بمشاركاتها في لجان تحكيم المهرجانات المسرحية، أو برئاستها الشرفية لمهرجان شرم الشيخ الدولي للمسرح الشبابي منذ تأسيسه وحتى الآن، حتى إنها توفيت داخل منزلها في حي الزمالك بصورة طبيعية، ومن دون أن تُنقل إلى أحد المستشفيات.

لم تكن سميحة أيوب مجرد فنانة كبيرة وصاحبة تاريخ حافل بالأعمال الفنية، فقد كانت أيضاً ناشطة مسرحية مارست دوراً مهماً سواء بتبني المواهب الشابة والإشارة إليها وتقديمها إلى الساحة الفنية، أو من خلال دورها في لجنة المسرح داخل المجلس الأعلى للثقافة، أو من خلال رئاستها للمسرح القومي والمسرح الحديث وما شهده المسرحان على يديها من تطوير لافت.

كان لي حظ مزاملة الفنانة الراحلة عضوية لجنة المسرح في المجلس الأعلى للثقافة، وكذلك مرافقتها في عدة أسفار خارج مصر. وقد لمست كما لمس غيري ممن رافقوها أو زاملوها مدى ما كانت تتمتع به من حضور قوي، ومدى صلابتها في الدفاع عن قضايا المسرح وقدرتها على التأثير في الآخرين وانحيازها إلى تجارب الشباب، حتى التي كانت تخالف توجهاتها الفنية وتمعن في التجريب، وكذلك مدى ما كانت تتمتع به على رغم جديتها الشديدة من حس ساخر، وخفة ظل ربما أبرزتها في أخر أعمالها السينمائية "تيتا رهيبة" مع الفنان الكوميدي محمد هنيدي.

### شخصيات متنوعة

ولعل من تابع المسيرة الطويلة لسميحة أيوب، التي استمرت نحو ٧٩ عاماً، إذ قدمت أول أفلامها "المتشردة" عام ١٩٤٧، يدرك قدرتها الفائقة على أداء مختلف الأدوار، فهي السيدة الشعبية والمرأة الغانية والجدة خفيفة الظل والسيدة القوية المتجبرة والمرأة الفقيرة المغلوبة على أمرها، وغيرها من الشخصيات التي لعبتها في السينما والمسرح والتلفزيون والإذاعة ببراعة فائقة وقدرة غير عادية على الذوبان في الشخصية والإمساك بمفاتيحها.

وفضلاً عن إجادتها أداء الشخصيات كافة، فقد كانت الراحلة واحدة من أبرز الممثلات اللاتي قدمن النصوص المسرحية العالمية باللغة العربية الفصحى، كما في "دائرة الطباشير القوقازية" و"أغامنون" و"فيدرا" وغيرها من المسرحيات التي بلغ عددها ١٧٠ مسرحية، ووصفها المفكر الفرنسي جان بول سارتر بـ"إليكترا المصرية" وعندما شاهدها في مسرحيته "الذباب" التي قدمتها على المسرح القومي في القاهرة صعد إلى المسرح ومعه سيمون دي بفوار، وقبلها قائلاً لها" أخيراً وجدت إليكترا في القاهرة"، ومنحها الرئيس الفرنسي الأسبق فاليري جيسكار ديستان وسام فارس بعد أن قدمت مسرحية "فيدرا" على مسرح أوبرا باريس، فضلاً عن تكريم الرئيس الراحل جمال عبدالناصر لها، وكذلك الرئيس السيسي.

### المسرح أولاً

وعلى رغم تعدد المجالات الفنية التي عملت بها سميحة أيوب في المسرح والسينما والإذاعة والتلفزيون، فقد ظل المسرح هو المجال الأثير لديها، حتى إنها ذكرت أنها تعمل بالسينما حتى تنفق على المسرح الذي كان نقطة انطلاقها الأولى وهي طالبة، ما زالت، في معهد الفنون المسرحية، عندما أمن بموهبتها أستاذها زكي طليمات فقدمها في مسرحية "خادمة الملكة".

وعلى عكس ما يذكره كثر عن تاريخ ومحل ميلاد الفنانة الراحلة، من أنها ولدت في حي شبرا خلال الثامن من مارس عام ١٩٣٢، فإن هناك وثيقة رسمية عثر عليها المؤرخ المسرحي سيد علي إسماعيل المقلب بـ"جبرتي المسرح" تؤكد أنها من مواليد الثامن من مارس ١٩٣٠ بحي الدرب الأحمر، أما سبب الخلاف حول تاريخ ومحل الميلاد فله قصة، ليس وقتها الآن.

### سميحة أيوب مخرجة

وربما لا يعرف كثر أيضاً أن سميحة أيوب مارست الإخراج المسرحي وقدمت عملين من إخراجها، وهناك عمل ثالث لا تتوافر، بحسب سيد علي إسماعيل، معلومات حول تنفيذه، إذ عثر على وثيقة تؤكد موافقة الرقابة على المصنفات الفنية على تنفيذ نص مسرحي كتابة أنور عبدالله وإخراج سميحة أيوب.

١٧٠ مسرحية ونحو ٤٣ فيلماً سينمائياً و١٠٠ مسلسل تلفزيوني وثمانية مسلسلات إذاعية حصيلة ربما لم يحققها سوى سميحة أيوب، صحيح أنها لم تلعب في السينما بطولات مطلقة وكذلك في المسلسلات التلفزيونية، لكنها جميعاً كانت تشير إلى موهبتها الكبيرة ووعيها بطبيعة الشخصيات التي تلعبها، ولكن ظل المسرح مجالها الحيوي الذي أخلصت له أكثر، سواء كممثلة أو كناشطة مدافعة عن قضاياه، وإن خسرت معركتها الأخيرة في الدفاع عن مسرح "فاطمة رشدي" ولم يمض وقت طويل حتى خسرت حياتها، ولكن فوق سريرها في منزلها ومن دون أن تكون عبئاً على أحد، لتؤكد جدارتها بلقب سيدة المسرح وأحقيتها في كل التكريمات والجوائز التي حصلت عليها، حتى إنها كانت أول فنانة مصرية يُدرج اسمها داخل مناهج الصف السادس الابتدائي في كتاب المهارات والأنشطة ضمن نشاط المسرح، وذلك في إطار التعريف بالمسرح المصري. وضُمّنت سيرتها الذاتية وكتابة درس عنها في المنهج الدراسي، لتكون جزءاً من شخصيات مصرية مؤثرة.

عن اندبندنت عربية

manarat
www.almadasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير
فخري كريم

رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين

سكرتير التحرير
غادة العاملي
رفعة عبد الرزاق

صباراتنا
طبعت بمطابع مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون

# سميحة أيوب واجهة المسرح العربي الكبير وبطلته الرائدة

كمال القاضي

رغم أنها بدأت مشوارها الفني من السينما في وقت مُبكر بفيلم "المتشردة" عام ١٩٤٩ ولم يكن عمرها يزيد على ١٥ عاماً، إلا أن اسمها ارتبط بالمسرح، ربما لأن أدوارها السينمائية كانت ثانوية في كثير من الأفلام كـ "شاطئ الغرام" و"ورد الغرام" و"الحب في سنة ٤٨" و"الوحش" و"أدهم الشرقاوي" و"أرض النفاق" و"بين الأطلال" و"رجل اسمه عباس" و"فجر الإسلام" وغيرها. وقد يكون عدم تحققها الكامل في السينما كنجمة صف أول هو سر اتجاهها للمسرح، الذي وجدت فيه نفسها، خاصة أنها درست التمثيل على يد أستاذها زكي طليمات، وتخرجت في المعهد الذي أسسه عام ١٩٥٣ فشقت طريقها بثبات وثقة وصارت واحدة من مُمثلات المسرح المرموقات، حيث بلغ رصيدها من الأعمال المسرحية نحو ١٧٠ مسرحية، أشهرها "سكة السلامة" و"كوبري الناموس" و"السبنسة" و"كسبنا البريمو" و"الناس اللي في التالت" و"ست الملك" و"أنطونيو وكليوباترا" و"دماء على ستار الكعبة" وأعمال أخرى رفعت أسهمها وأدت إلى شهرتها ومنحتها لقب سيدة المسرح العربي عن جدارة.

لقد استفادت سميحة أيوب فنياً من تجاربها مع زوجها الثالث سعد الدين وهبة، الذي تزوجته بعد النجمين الكبيرين، محسن سرحان ومحمود مرسي، فقد لعبت أدوار البطولة في أهم مسرحيات الكاتب وهبة، "كوبري الناموس" و"السبنسة" و"سكة السلامة"، والأخيرة بالتحديد حققت نجاحاً جماهيرياً وشعبياً كبيراً، لهذا تقلدت الفنانة الراحلة مناصب مهمة في المجال المسرحي، فقد تولت منصب مديرة المسرح القومي مرتين، ومديرو المسرح الحديث، وكان لقيادتها أثر واضح في النهوض بالمسرح الحكومي والارتقاء بمستواه والعمل على تطويره.

ومن السينما إلى المسرح والتلفزيون، مروراً بالإذاعة تنوعت إسهامات سميحة أيوب الإبداعية، التي اتسمت بالجدية الشديدة، وراعت الذوق العام واهتمت بالقضايا الاجتماعية والإنسانية، فمن بين ما قدمته على مستوى الدراما التلفزيونية، مسلسل "الضحية" ومسلسل "الساقية" ومسلسل "لسه بحلم بيوم" مع الفنان الراحل نور الشريف، ومسلسل "الضوء الشارد" و"ضبط وإحضار" و"وجهان للحقيقة" و"المصراوية" و"سيف اليقين" و"أولاد الشوارع" و"عصر الحب" و"الطاووس" و"الجدار" و"سقوط الخلافة" و"سعد اليتيم" و"موعد مع الغائب" و"المحروسة".

وتميزت الفنانة الكبيرة بإجادتها للغة العربية وسلامة النطق ومخارج الألفاظ والدقة الشديدة في الأداء، وهي المزايا التي اكتسبتها من العمل المسرحي خلال سنوات وجودها وتألقها في المسرح القومي، الذي يُعتبر بمثابة أكاديمية عريقة لإعداد المُمثل وتثقيفه.

ومن سمات سميحة أيوب الشخصية، ثقتها في نفسها وقدرتها الفائقة على القيادة وتمكنها من أدواتها الفنية، وحرصها الدائم على التجديد والابتكار رغم تربيتها الكلاسيكية المنضبطة، التي أضفت عليها هيبة ووقاراً ظاهرين.

لقد قرأت الراحلة الشعر وحفظت الكثير من القصائد والأبيات للمُتنبي والبُحتري وشوقي وحافظ إبراهيم وفاروق جويدة ونجيب سرور، واطلعت على الأدب المترجم لكبار الكتاب العالميين، ألبرتو مورافيا ومكسيم غوركي وأنطوان تشيكوف ودوستويفسكي وعدد كبير من المسرحيات المترجمة لشكسبير وموليير، الأمر الذي وسع أفقها ومداركها وعزز موهبتها الفطرية وجعل لأدائها المسرحي مذاقاً خاصاً.

ولا يُمكن في هذا السياق إغفال أعمالها الإذاعية الرائدة في الخمسينيات والستينيات، فقد جسدت شخصية سمارة في المسلسل الإذاعي الشهير، ثم "عودة سمارة" في الجزء الثاني من المسلسل نفسه، كما جسدت قصة حياة الكاتبة الكبيرة سهير القلماوي ونقلت تفاصيلها عبر دراما إذاعية مهمة اعتمدت فيها على فخامة الصوت وبراعة الأداء.

كذلك قدمت مسلسل أم كلثوم قبل أن يتم تصويره تلفزيونياً بعدة أعوام، وقامت ببطولة مسلسل "شخصيات تبحث عن مؤلف" ومسلسل تراجيدي إنساني آخر بعنوان "صابرين" أبرزت من خلاله قدراتها الصوتية الفريدة بتأثيراتها الدرامية المتباينة والحساسة.

قدمت سميحة أيوب آخر أفلامها في السينما مع محمد هنيدي بعنوان "تيتة رهيبة" بتنويع كوميدي رصين وهادف، حرصت خلاله على تقديم وصاياها للجيل الجديد، في ما يتصل بالعادات والسلوكيات، ومبادئ الاحترام والالتزام الأخلاقي الدافع إلى بناء الشخصية وتقويمها وضمان صلاحية العلاقات العاطفية والإنسانية بين الأزواج والمُحبين، في معالجة فنية درامية راقية ابتعدت كثيراً عن الهزل والتسفيه والسطحية. ورغم أن الدور كان ثانوياً إلى حد ما، إلا أنه كان مؤثراً بقوة في الأحداث ومصدراً أساسياً للتوعية بأصول المعاملة الأسرية والتربوية.

اختتمت مسيرة الفنانة المسرحية الكبيرة بالتكريم وحصولها على درع التفوق من مهرجان العودة السينمائي الفلسطيني الدولي، وعرض فيلمها التسجيلي سيدة المسرح العربي في حفل افتتاح الدورة التاسعة قبل رحيلها بشهر واحد تقريباً.